

قراءة سوسولوجية لظاهرة الهجرة غير الشرعية من بلدان الساحل الإفريقي: الجزائر أمودجا

## A sociological reading of the phenomenon of illegal immigration from the countries of the African Sahel: Algeria as a model

نجوى فلكاوي<sup>1</sup>، هجيرة شبلي<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة محمد أمين دباغين سطيف 2، nadjouaf@yahoo.com

<sup>2</sup> جامعة محمد أمين دباغين سطيف 2، hadjira\_philo@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2021/06/30

تاريخ القبول: 2021/06/19

تاريخ الاستلام: 2021/05/28

### ملخص:

يعالج المقال جانباً مهماً من القضايا المتعلقة بالهجرة غير الشرعية، والمتمثل في رصد جملة الأسباب الذاتية والموضوعية الدافعة إلى خيار الهجرة غير القانونية من بلدان الساحل الإفريقي نحو أوروبا، وبالتحديد لدى فئة الشباب. والتي تقف خلفها تراكمات وترسبات صعدت من تنامي الظاهرة، وهي ترسبات تضرب بجذورها في عمق مسار التنشئة الاجتماعية على المستوى الفردي من جهة، وإلى تأثيرات مخرجات التأزم الاقتصادي، والقمع السياسي، وهشاشة الهيكلة الثقافية وتوجهاتها، وإفراغ مضامين المناهج التربوية من أبعادها القيمية، مع ما أتاحته العولمة من فضاء مفتوح ممثلاً في وسائل التواصل على المستوى الجمعي من جهة أخرى.

وفي هذا السياق تناولنا ماهية الهجرة والهجرة غير الشرعية، - مع بسطٍ لخلفيات تطور مفهوم الهجرة في بلدان المغرب العربي (دول الساحل الإفريقي)-، مع التأكيد على خصوصية مشاريع التنمية في بلدان المغرب العربي وأثرها على تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية لاسيما فترة ما بعد الاستقلال، كما يرمي المقال إلى الكشف عن جملة الأسباب والعوامل التي تقف خلف هذه الظاهرة.

**كلمات مفتاحية:** الهجرة الشرعية؛ الهجرة غير الشرعية؛ الشباب؛ عوامل الجذب؛ عوامل الطرد.

### Abstract:

This article addresses an important aspect of issues related to illegal immigration, which is monitoring the subjective and objective reasons to illegal immigration from the countries of the Sahel to Europe, especially young people.

Behind this phenomenon are accumulations and deposits, rooted in the depth of the socialization process at the individual level, on one hand, And the effects of the outputs of the economic crisis, political repression, the fragility of the cultural

structure and its orientations, and the emptying of the contents of the educational curricula of their value dimensions.

With the open space provided by globalization represented by the means of communication at the collective, level on the other hand.

In this context, we dealt with what is immigration and illegal immigration, with a simplification of the backgrounds of the emergence and development of the concept of migration in the countries of the Maghreb (countries of the Sahel of Africa).

With an emphasis on the specificity of development projects in the countries of the Arab Maghreb and their impact on the growth and collapse of the phenomenon of illegal immigration, especially the post-independence period, this article also aims to reveal a set of causes and factors behind this phenomenon.

**Keywords:** Legal immigration; Illegal immigration; Young people; Attraction factors; Expulsion factors.

\* المؤلف المرسل: نجوى فلكاوي، الإيميل: nadjouaf@yahoo.com

## 1. مقدمة:

تسعى حكومات مختلف الدول إلى الحفاظ على استقرار أمن أوطانها، وسلامة حدودها الإقليمية ضد أي اعتداء خارجي، وقد يتخذ الاعتداء أشكالاً عدّة، فقد يكون الاعتداء على شكل عدوان صريح كموجة الاستعمار، وقد يكون خفياً في شكل نزوح من طرف شعوب خارجية ذات انتماءات عرقية ومذهبية مختلفة، تتسلل فرادى أو جماعات، مخترقة الحدود الطبيعية والاصطناعية، ويصطلح على هذا النوع من النزوح بـ الهجرة غير الشرعية، -أو السرية-. هذا وقد اجتاحت سواحل إفريقيا بصفة عامة موجة عارمة من المهاجرين غير الشرعيين -إذ شهدت في الآونة الأخيرة توافداً مكثفاً للمهاجرين غير الشرعيين على أراضيها من قبل مالي والنيجر ومن سورية-، والتي أصبحت بمثابة بوابة أو نقطة عبور رئيسة نحو أوروبا، كما تعرف فئات كثيرة من شعوب دول الساحل الإفريقي بدورها إقبالاً حثيثاً على ظاهرة الهجرة غير الشرعية نحو دول جنوب البحر الأبيض المتوسط إجمالاً، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على استفحال واستحكام الظاهرة.

ويعدُّ هذا الموضوع على قدر كبير من الأهمية، وذلك من خلال ما حظي به ملف الهجرة غير الشرعية من اهتمام واسع لدى السلطات المخولة محلياً ودولياً، بالإضافة إلى راهنية الظاهرة وارتباطها بالواقع المعيش، فقد تنامت بشكل لافت وتفشت بشكل ملحوظ. وليس بخفي على كل ناظر ما يترتب عن هذه الظاهرة من تداعيات وآثار سلبية، كونها تنعكس سلباً على الحياة الاجتماعية وتمظهراتها المختلفة، اقتصادياً وسياسياً، وحتى على العلاقات الدولية مع دول الجوار، ناهيك عما تطالعنا عليه إحصائيات وسائل الإعلام، من العدد الضخم للمهاجرين وتنوع الفئات العمرية عبر قوارب الموت، وعن حجم التكلفة المادية المهولة للتكفل بالوافدين وإرجاعهم إلى أراضيهم.

مما يستدعي بحث ودرس الظاهرة وتسليط الضوء على أسبابها الدافعة، وبناء عليه تهدف هذه المدخلة إلى رصد جملة الأسباب والعوامل الذاتية والموضوعية الدافعة إلى خيار الهجرة غير القانونية من بلدان الساحل الإفريقي نحو أوروبا، وبالتحديد لدى فئة الشباب، والتي تقف خلفها تراكمات وترسبات صعدت من الظاهرة، وهي ترسبات تضرب بجذورها إلى عمق مسار التنشئة الاجتماعية على المستوى الفردي هذا من جهة، وإلى تأثيرات مخرجات التأزم الاقتصادي، والقمع السياسي، وهشاشة الهيكلة الثقافية وتوجهاتها وإفراغ مضامين المناهج التربوية من أبعادها القيمية، مع ما أتاحتها العولمة من تكنولوجيا التواصل على المستوى الجمعي وما أضفته من بريق على حلم الهجرة من جهة أخرى .

في إطار تحقيق الأهداف المسطرة، تم بلورة الإشكالية المحورية التالية: فيما تتمثل جملة الأسباب الكامنة وراء استفحال ظاهرة الهجرة غير الشرعية من دول الساحل الإفريقي نحو أوروبا؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية: بم يتحدد مفهوم الهجرة غير الشرعية؟ وكيف تطور مفهوم الهجرة السرية في بلدان الساحل الإفريقي؟ وما هي خصوصيات التنمية في بلدان المغرب العربي وتحديدا الجزائر بوصفها بوابة الساحل الإفريقي، وبالتالي ما أثرها على تنامي الظاهرة؟ وأخيراً ما هي الأسباب الفاعلة في الدفع إلى الهجرة غير الشرعية في الجزائر أمودجاً؟ وسيتم الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال العناصر الآتية:

## 2. في ماهية الهجرة غير الشرعية والشباب:

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

### 1.2. ماهية الهجرة وأنواعها وتقسيماتها:

#### 1.1.2. الهجرة لغة:

جاء في لسان العرب أن الهجرة ضد الوصل، والهجرة هي الخروج من أرض إلى أرض، وتسمى المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي نشأوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة، فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري وسكن بلدا آخر فهو مهاجر. وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن. (ابن منظور، 1300هـ، ص-ص 250-251)

#### 1.2.2. الهجرة اصطلاحا:

لقد تباينت تعريفات الهجرة من حقل معرفي إلى آخر، وعلى الرغم من وضوح دلالاتها إلا أن هناك اختلافات طفيفة في ملامسة الجوانب الامبريقية لها وفق كل حقل معرفي. "فعلماء اللغة مثلا يقصدون بكلمة هاجر المهاجرة من البلد وعنه، أي خرج منه إلى بلد آخر. أما علماء النفس فيعرفونها على لسان ويليام ماك دوغل بأنها: غريزة فطرية في الإنسان، أي استعداد فطري موروث لا يحتاج إلى تعلم، ويدفع الكائن إلى القيام بسلوك خاص في موقف معين مثلها في ذلك مثل: غريزة التملك والغريزة الجنسية وغريزة المقاتلة". (انشرح الشال في دليو فضيل وآخرون، 2003، ص33)

#### 1.2.3. الحرقة:

من بين ما جاء في تعريف الحرقة بأن المصطلح الشائع بـ "haraga" وهي فعل العبور غير المشروع أو السري للمتوسط بهدف الاستقرار في جنوب أوروبا. ويقصد بمصطلح الحرقة: "حرق كل الأوراق الروابط التي تربط الفرد بجذور هويته على أمل أن يجد هوية جديدة في بلدان الاستقبال". (رؤوف منصور، 2016، ص37)

## 4.1.2. مفهوم الشباب:

لقد اختلف في تحديد مفهوم الشباب بين العلماء والمفكرين سواء من الناحية النفسية أو البيولوجية أو الاجتماعية، وفي مقامنا هذا سنختار أحد التعريفات السوسولوجية التي ترى بأن " فترة الشباب تبدأ حينما يحاول بناء المجتمع تأهيل شخص لكي يحتل مكانة اجتماعية، ويؤدي دوراً أو أدواراً في بنائه وتنتهي حينما يتمكن من احتلال مكانته وأداء دوره في السياق الاجتماعي وفقاً لمعايير التفاعل الاجتماعي". (ماجد الزبود، 2006، ص.36.37)

## 2.2. أنواع الهجرة:

يقسم الدارسون أصناف الهجرة إلى:

**2.2.1. هجرة داخلية:** وهي التي تحدث داخل الحدود الجغرافية والسياسية الواحدة وهذا النوع لا يتطلب تأشيرات أو أذونات مسبقة للانتقال من منطقة إلى أخرى داخل الحدود الجغرافية للدولة الواحدة.

**2.2.2. هجرة خارجية (دولية):** وهي التي يعبر فيها الفرد أو الجماعة الحدود الجغرافية أو السياسية من دولة معينة إلى دولة أخرى بهدف الإقامة الدائمة أو المؤقتة. كما يمكن تقسيم الهجرة الدولية إلى قسمين: شرعية وغير شرعية.

## 3.2. أقسام الهجرة:

### 1.3.2. الهجرة المشروعة أو الشرعية:

وهي "الهجرة التي تتم بموافقة دولتين على انتقال المهاجر من موطنه الأصلي إلى الدولة المستقبلية". وهي تتم وفقاً للقانون الدولي للهجرة (هجرة قانونية). (رؤوف منصور، 2016، ص.36). وفي الهجرة القانونية يقوم "الأشخاص بتقديم طلبات الهجرة باختيارهم وفق شرط ومعايير معينة، فإذا توفرت هذه الشروط حصل الشخص المعني على حق الإقامة وكافة الحقوق المكفولة لأي مواطن في دولة المهجر، ومعظم المهاجرين الذين يقعون تحت هذه الفئة يكونون من المتعلمين والحاصلين على تخصصات مرغوبة أو من ذوي رؤوس الأموال". (مجدي أحمد محمد عبد الله، 2013، ص.236)

كما تعرّف بأنها: "الهجرة التي تتم بموافقة دولتين على انتقال المهاجر من موطنه الأصلي إلى الدولة المستقبلية، وتحدث بين البلدان التي لا تضع قيوداً أو قوانين تمنع الهجرة، ولا يتطلب الدخول إليها الحصول على تأشيرات الدخول وفقاً لأنظمتها وإجراءاتها وحاجاتها من المهاجرين". (مُجد غزالي، 2015، ص 29)

### 2.3.2. الهجرة غير المشروعة أو ما يسمى بالهجرة السرية، أو الحرقية:

و"تعني أولئك الذين لا يلتزمون بالشروط القانونية المتعلقة بدخولهم وإقامتهم في الدول التي يهاجرون إليها والمهاجرون العابرون إلى دولة تكون ممراً للوصول إلى دولة أخرى. وهي فعل العبور غير المشروع أو السري للمتوسط بهدف الاستقرار في جنوب أوروبا". (رؤوف منصور، 2016، ص.ص 36.37)

وتتم الهجرة غير الشرعية عن طريق التسلّل أو أي طريق غير مشروع كما يحصل من مهاجري شمال المغرب العربي الذين يقصدون أوروبا ويستخدمون كل الطرق غير المشروعة للوصول إلى هناك، وهم لا يعاملون بنفس طريقة الفئة الأولى، فغالبيتهم لا يكونون حاصلين على مستوى علمي يؤهلهم للحصول على وظائف محترمة في دول المهجر. (مجمدي أحمد مُجد عبد الله، 2013، ص 236)

كما عرفت الهجرة غير الشرعية على أنها: "انتقال أفراد أو جماعات من مكان إلى آخر بطرق سرية مخالفة لقانون الهجرة كما هو مُتعارف عليه دولياً أو هي دخول البلاد دون الوثائق اللازمة والصالحة والعمل دون أخذ الإذن بالإقامة بصفة مؤقتة أو دائمة داخل حدود الدولة المضيفة وغالباً ما تسمى العمالة الأجنبية غير المصرح بها". (مُجد غزالي، 2015، ص 29)

### 3. محطات تطور حركة الهجرة غير الشرعية من الساحل الإفريقي نحو أوروبا:

مرّت ظاهرة الهجرة السرية على مستوى الحوض المتوسطي بعدّة محطات يمكن استعراضها زمنياً على النحو

الآتي:

#### 1.3. المرحلة الأولى: قبل سنة 1985م:

تميزت هذه المحطة بحاجة الدول الأوروبية إلى مزيد من العمالة من دول الجنوب، وكانت متحركة في حركة تدفق المهاجرين، في المقابل فهم المهاجر الجنوبي قواعد اللعبة في الشمال، وبدأ بيلور خطابات تتضمن مطالب

حقوقية داخل المجتمع المستقبل، مما سمح بتمدد المهاجرين بشكل قوي في غفلة من الأنظمة الأمنية الأوروبية. (عبد القادر رزيق المخادمي، 2012، ص20)

### 2.3. المرحلة الثانية: من سنة 1985م إلى غاية 1995م:

اتسمت ببداية ظهور إفرازات سلبية بين المهاجرين الذين وفدوا إلى الدول المتطورة بصورة شرعية مزاحمتهم لأبناء البلد الأصليين، وقد تزامن ذلك مع غلق مناجم الفحم في كل من فرنسا وبلجيكا التي كانت تستوعب أغلب المهاجرين آنذاك. مما أدى إلى غلق الحدود أمام المهاجرين المتدفقين، رغم وجود اتفاقيات دولية لمنظمة الأمم المتحدة (1990م) وتهدف لحماية حقوق العمال. إلا أن الدول الأوروبية تحفظت بشأنها، بغرض التعاطي مع هذه الظاهرة الجديدة وفق صيغ جديدة ولو على حساب الحقوق الواردة الاتفاقيات الدولية. (عبد القادر رزيق المخادمي، 2012، ص21)

### 3.3. المرحلة الثالثة: تمتد من سنة 1995م إلى وقتنا الراهن:

تميّزت بالطابع الصارم الذي انتهجته الدول الأوروبية كسياسة أمنية بخصوص التجمع العائلي وأبرمت اتفاقيات مع دول الجنوب حول ترحيل المهاجرين غير الشرعيين، ومورست دبلوماسية "الأبواب الموصدة" التي كان من نتائجها وكرد فعل على ذلك الهجرة السرية كونها هجرة غير قانونية. (عبد القادر رزيق المخادمي، 2012، صص.21.22)

### 4. خصوصية التنمية في الجزائر وأثرها على تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى الشباب فيما بعد الاستقلال:

لقد اتخذ مفهوم التنمية دلالات متعددة في المجتمع الجزائري منذ الاستقلال، وكان ذلك وفق أهداف مرحلية آنية تفتقر إلى التخطيط الاستراتيجي لبناء مفهوم المواطنة لدى الفرد الجزائري. والمطلع على السياسات التنموية في مختلف المراحل المتلاحقة ما بعد الاستقلال سيلاص طغيان البعد التنموي المادي الاقتصادي أكثر منه على البعد المتعلق بالتنمية البشرية وبناء الإنسان. وهو ما كان له الأثر الواضح في بناء شخصية جزائرية -نسبياً- ذات أبعاد نفعية مادية غير مسؤولة تجاه الوطن أو المجتمع، حيث امتدت هذه اللامسؤولية الاجتماعية -وفقاً للتراكمات الآتفة الذكر- إلى الإضرار بالنفس أولاً، والأسرة ثانياً، والمجتمع أخيراً، من خلال تنامي أفكار هدامة تراهن على الوجود والفاعلية الإنسانيين وعلى رأس هذه الأفكار فكرة الهجرة غير الشرعية أو ما يعرف اليوم بالحرقة.

إن تناولنا لخصوصية المشاريع التنموية للجزائر ما بعد الاستقلال هو من قبيل توضيح العلاقة الوثيقة بين توافق مدركات وخطط الدولة وانعكاس أهداف هذه المدركات على العصب الفاعل في المجتمع وهي فئة الشباب. وبالتالي ترجمة هذه الأهداف إلى أرض الواقع أو معارضتها بأشكال متعددة تُبرر عدم ملاءمتها لمتطلبات التنمية المجتمعية وهذه الفئة بصورة خاصة. وفيما يلي عرض مختصر لتوجهات الدولة الجزائرية في التنمية.

"لقد أسفرت الحقبة الاستعمارية على ترك إنسان جزائري يتميز بثلاث خصائص:

- إنسان مستغل إما كمجرد عامل وهو الغالب أو كمجرد مالك تابع.

- إنسان جائع بسبب سياسة الإفقار المطبقة عليه والتراكم الأول للسياسة الاستعمارية.

- إنسان جاهل على صعيد التكوين والتعليم المدرسي". (بملول مُجَد بلقاسم، 1999، ص 74)

انطلاقاً من هذه المعطيات أخذت السياسة التنموية اتجاهين أساسيين في مرحلتين متلاحقتين تمتد جذورها إلى "مرحلة الكفاح المسلح، والتي لم تتبلور إلا من خلال المؤتمر الأول للحزب المنعقد سنة 1964م، والتي صيغت في وثيقة تاريخية عرفت بميثاق طرابلس... وما يمكن قوله على المرحلة التي أعقبت الاستقلال مباشرة أن للجو السياسي السائد في هذه الفترة آثاره السلبية على السياسة التنموية في الجزائر، إذ امتازت بعدم الاستقرار السياسي وضعف الدولة التي أتمكنتها النزاعات من أجل السلطة". (سميرة منصورى، 2014، ص 315). ويمكن توضيح ذلك من خلال المراحل التالية:

#### 1.4. المرحلة الأولى: (1962-1988):

إن خصوصية هذه المرحلة ارتبطت بمحاولة إرساء قواعد الدولة المستقلة ذات السيادة والاستقلال، لكن هذا لم ينف بروز ثلاثة مشاريع اجتماعية، سياسية تعبر عن مصالح القوى الرئيسية في المجتمع وهي:

"المشروع الأول: يتمثل في التيار الليبرالي القائم على النمو الرأسمالي والسوق الحرة.

المشروع الثاني: يتمثل في التجربة الاشتراكية للنمو القائمة على التسيير الذاتي للعمال.

المشروع الثالث: يتمثل في اشتراكية الدولة والتي تمثلها عناصر البورجوازية الصغيرة المتواجدة في هياكل الدولة والحزب والجيش". (سميرة منصورى، 2014، ص 316)

إن ما يغلب على طابع هذه المشاريع التنموية هو محاولة الاستقلال باتخاذ القرارات السياسية إضافة إلى محاولة دعم سياسة اجتماعية تخرج الجزائري من خانة التابع إلى العامل المسهم في تحقيق الارتقاء الاقتصادي. وكل

ذلك كان يشكل أهدافاً آنية تخضع لخصوصية مرحلة ما بعد الاستقلال، التي أغفلت اهتمامها بالبعد الإنساني في بناء المجتمع.

## 2.4. المرحلة الثانية: 1988-2012:

لقد أدت التغييرات الحاصلة على المستوى العالمي إلى مواكبة الجزائر لها ولو جزئياً، ونذكر فيما يلي أهم هذه التغييرات:

- "الاتجاه نحو خصوصية إعادة الهيكلة وتسريح العمال.
- حرية الأسواق ونشر ثقافة السوق وتعدد أنماط التبعية.
- التوسع في القطاع الخاص وتحريره من الكثير من القيود الاقتصادية وتشجيع رأسمالية محلية مشوهة وطفيلية تابعة.
- حرية التجارة وحركة رؤوس الأموال الخارجية.
- تراجع على صعيد العدالة الاجتماعية، حيث ارتبط الانتقال إلى نمط غالب من النمو الرأسمالي ببعض التجسيديات لسوء التوزيع في الثروات والدخول". (سميرة منصور، 2014، ص 313)

إن الانتقال بالأهداف التنموية من مرحلة ما بعد الاستقلال -أهداف إثبات وجود ومحاولة السيطرة على الثروات المتاحة وتوجيهها نحو الصالح العام بدلالة روابط الدم والعرق والانتماء إلى مجموعات تضامنية آلية تحددها اللغة والدين- إلى مرحلة غلبت فيها المعطيات الخارجية وخدمة مصالح الآخر بدلالة سياسات علمية ظاهرها التقدم والتطور وباطنها استنزاف الثروات أدى بالجزائر على غرار الكثير من دول العالم إلى مرحلة الأزمة وهي ما أطلق عليها أزمة المجتمع الجزائري سنة 1988. والتي انعكست نتائجها على العديد من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية لدى الشباب الجزائري.

إن أهم هذه الانعكاسات وأخطرها على الإطلاق كانت تلك المتعلقة بالجوانب الثقافية للشباب الجزائري، الذي تحول من عنصر فاعل في ضوء متطلبات المرحلة السابقة إلى عنصر حيادي إن لم نقل هدام في هذه المرحلة. ومن أهم ملامح هذه التغييرات التي وجهت الشباب الجزائري نحو أفق جديدة والبحث عن حلول بديلة ما يلي:

- أزمة البطالة الخائفة والتي لم يسلم من مخالبتها الشباب الجامعي أو حتى الشرائح الأخرى من ذوي المستوى التعليمي الأدنى.

- أزمة السكن التي أدت بدورها إلى تأخر سن الزواج وتزايد معدلات العنوسة وحتى ظهور ظواهر غريبة عن مجتمعنا الإسلامي كالعلاقات غير الشرعية.

- أزمة الهوية التي ضربت في عمق القيم المتوارثة في المجتمع الجزائري، والتي كانت مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إضافة إلى العرف الاجتماعي، الذي كان إلزامه في الكثير من الأحيان يتعدى الحدود بتطبيقه لمختلف وسائل الضبط الاجتماعي للحفاظ على هذه القيم. حيث أفرزت هذه المرحلة قيما بديلة مبنية على الانبهار المادي بالثقافة الغربية، التي لا تمت بصلة لأصالة قيمنا، وهو ما انبثق عنه انجراف هوياتي جديد ذو مبررات نفعية مادية وسيلتها في الغالب محاكاة المغلوب لغالبه.

لقد أسهنا في تحليل الجانب القيمي نظراً لأهميته في خلق أزمة القيمة والانتماء لدى الشباب الجزائري، لكن المطلوب هنا هو التحليل الدقيق والتشريح العقلاي لوضعية الشباب بصورة عامة والشباب المقبل على الحرقفة بصفة خاصة.

## 5. الأسباب والعوامل المؤدية لظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى الشباب الجزائري:

### 1.5. مشكلات الشباب الجزائري المعاصر وعلاقتها بالهجرة السرية:

إن خصوصية الشاب الجزائري تفرض العديد من المعطيات لتحليل طبيعة المشكلات التي يعاني منها والتي تدفعه في الغالب إلى المغامرة في قوارب الموت إلى الضفة المنشودة كبر للأمان، وفيما يلي عرض لأهم المشكلات التي يتعرض لها الشاب الجزائري والتي تسهم بصورة مباشرة في اتخاذه لقرار الهجرة السرية:

ضعف الانتماء الذي يعاني منه أغلب الشباب الجزائري: والذي نتج عن مجموعة من الموجهات بدءا بالتنشئة الأسرية التي أصبحت مبنية على القيم النفعية، وصولا إلى الشعور بالإحباط وعدم الثقة في المجتمع الذي يعجز في نظرهم عن تحقيق الإشباع لمختلف حاجاتهم كنظيره من الشباب في المجتمعات الغربية.

وفيما يلي ملخص عن أسباب ضعف انتماء الشباب:

- " غلبة القيم المادية في المجتمع.
- سيادة القيم الفردية وإعلاء المصلحة الخاصة على المصلحة العامة.
- حدوث تصرفات من بعض القيادات في فترة من الفترات أوحث إلى الشباب بأن هناك من هم فوق القانون وهو ما كان له أثر كبير على المجتمع وعلى الشباب بصفة خاصة.
- ظهور التخبط القيمي وفقدان المعايير، اختلال في سلم ترانبية القيم.
- عدم قدرة المجتمع على توفير الحاجات الأساسية لأفراده.
- ضعف الوازع الديني لدى بعض الشباب وانتشار الأفكار الدخيلة.

- البطالة حيث تعتبر أحد أسباب ضعف الانتماء لدى الشباب.
- وجود خلل اجتماعي في المجتمع حيث نتج عن الانفتاح الاستهلاكي صراعاً كبيراً بين المستويات الاجتماعية المختلفة في المجتمع تراجمت فيه قيمة المثقفين وقادة الفكر أمام طغيان العناصر ذات القدرة المادية.
- الخلل في بعض العوامل البنائية في المجتمع والتي تتمثل في عدم وضوح خط تربوي عام في المجتمع وانتشار الأمية بكل أبعادها الهجائية والسياسية.
- ضعف دور القائمين بعملية التنشئة الاجتماعية والسياسية في غرس قيمة الانتماء للوطن لدى الأفراد سواء كانت أسرة أو مؤسسة تعليمية أو دينية". (مصطفى يوسف أبو زيد، 2017، ص.ص 22.21)

### 1.1.5. مشكلة الاغتراب:

- تعد مشكلة الاغتراب من المشكلات المعاصرة التي أفرزتها الحضارة الغربية، وهو في حد ذاته يشير إلى الابتعاد عن الثقافة الخاصة بمجتمعه من عادات وتقاليد وقيم، وللإغتراب أشكال متعددة هي:
- "الاغتراب الاجتماعي: ويتمثل في عدم قدرة الفرد على التفاعل مع الآخرين.
  - الاغتراب الثقافي: ويتمثل في الابتعاد عن الثقافة الخاصة بمجتمعه.
  - الاغتراب الاقتصادي: وهو شعور العامل بالانفصال عن عمله.
  - الاغتراب السياسي: وهو شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية.
  - الاغتراب الديني: ويقصد به الابتعاد عن الله.
  - الاغتراب النفسي: ويقصد به عدم القدرة على التكيف الاجتماعي مما يضطر الفرد إلى الانعزال". (مصطفى يوسف أبو زيد، 2017، ص.ص 40.39)

### 2.1.5. مشكلة الانحراف:

- يرتبط مفهوم الانحراف بالعديد من المفاهيم الفرعية كالجرمة والجنوح وتعاطي المخدرات وغيرها، وعلى الرغم من اختلاف درجات تعقيد هذه الظواهر إلا أن مسبباتها تعد في الغالب مشتركة لدى الشباب، ونذكر منها:

- التفكك أو التصدع الأسري والانفصال بين الزوجين أو انحراف أحدهما.
- سوء عملية التنشئة والتي تمثل حجر الزاوية في تقويم السلوك.
- الإسراف في القسوة مع الأبناء.

- اختلاف وجهات النظر في تربية الأبناء بين الأب والأم.
- تأثير رفقاء السوء.
- التأثير الإعلامي.
- كبر حجم الأسرة وضيق المسكن وعدم ملاءمته.
- الفقر والحرمان والعوز.
- الأمراض الوراثية التي يمكن أن تنتقل من خلالها الأمراض الجسدية والعقلية من السلف إلى الخلف.
- عدم اتزان الشخصية التي يتطلب تشكلها وتكوينها تناسق جميع عناصرها مما يتيح للفرد إدراك جميع المتطلبات والمواقف الاجتماعية التي يواجهها". (مُجدّ اعبيد الزنتاني إبراهيم، 2008، ص.ص 42.41)
- أما عن أشكاله فهي:
- "الانحراف الخلقي، الانحراف العقلي، الانحراف الديني، الانحراف الاجتماعي والقانوني، الانحراف السيكولوجي وأخيرا الانحراف الاقتصادي". (مُجدّ اعبيد الزنتاني إبراهيم، 2008، ص.ص 52.51)

### 3.1.5. مشكلة البطالة:

- يمكن القول أن البطالة تعتبر أهم سبب لإقبال الشباب على الهجرة السرية، حيث تعتبر الشبح الذي حطم أحلام الشباب الجزائري والعربي عموما في تكوين أسر والاستقرار اجتماعيا واقتصاديا. ومن بين الأسباب العامة لتفاقم ظاهرة البطالة نورد ما يلي:
- محدودية فرص العمل خاصة في العشرين سنة الأخيرة على الرغم من سياسة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة على الجبهة الداخلية من " ناحية إعادة تنظيم المجتمع الجزائري وعلاقاته، والكشف عن أمراضه وعلاجها، وهيكلته سياسيا، وإعادة الثقة للمواطن في الدولة وفي مؤسساتها..." (لوحيدي فوزي؛ قنوعة عبد اللطيف، 2013، ص53)
  - النظرة المتدنية للعمل اليدوي لدى الشباب الجزائري حيث أصبحت جميع شرائح الشباب بكل مستوياتها تنزع إلى العمل التقني والابتعاد عن العمل الحرفي اليدوي مما أدى إلى تراجع العديد من المهن التي كانت تسهم بشكل كبير في امتصاص البطالة لدى الشباب.
  - استسلام أغلب الشباب للبقاء في أماكنهم على أمل الفوز بفرص عمل نوعية في ظل التنافس المحموم على سوق العمل الوطنية داخليا وخارجيا، وفي ظل هذا الفراغ أثبت الصينيون والأتراك جدارتهم بالعمل الجاد وتسليم

المشاريع في حينها بينما كان الشباب الجزائري يتصيد أحسن الفرص للعمل دون قدمها، وهو ما زاد في تعقد وتفاهم ظاهرة البطالة وبالتالي التفكير في الهجرة غي الشرعية كبديل.

- تراجع النمو المعرفي وضعف الأنشطة البحثية في الجامعات مما خلق انفصاما واضحا في العلاقة بين الجامعات والمؤسسات الإنتاجية. كل ذلك أدى إلى فقدان ثقة الشباب في قدراته والشعور بعدم الكفاءة والتأهيل، وهو ما جعل أغلب حاملي الشهادات مجرد منفذين لا مبدعين من خلال عقود ما قبل التشغيل لينتهي الأمر بهم إلى البطالة الحقيقية في النهاية.

إن الحديث عن المشكلات المتعلقة بالشباب الجزائري لا ينتهي بنهاية هذه الأسطر لأن هذه المشكلات كانت ولا تزال تتغلغل وترداد عمقا يوما بعد يوم وهو ما تترجمه حملات الهجرة السرية في قوارب الموت يوميا. إلا أنه من الواجب علينا كأكاديميين أن نقدم تحليلا علميا يقبل إيجاد البدائل الملائمة أو على الأقل اقتراح بعض الحلول المناسبة.

وستتناول فيما يلي أهم الأسباب التي تدفع بالشباب الجزائري إلى المغامرة بالنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، في محاولة لربط أهم مشكلاته بالدوافع العامة للهجرة السرية.

## 2.5. العوامل والأسباب المؤدية إلى الهجرة لدى الشباب الجزائري:

تعد ظاهرة الهجرة ظاهرة أزلية على اختلاف مسبباتها والعوامل المحددة لها عبر الأزمنة، وعلى العموم يمكن أن نوجز فيما يلي مجموعة العوامل المحددة لها عبر الحقب التاريخية المختلفة والتي تشترك في توفر شرطين أساسيين هما: عوامل الطرد الداخلي وعوامل الجذب الخارجي. أما عن أسبابها فهي غالبا ما تكون ذات خصوصية متعلقة بطبيعة المجتمعات وما تعانیه من مشكلات في مختلف نواحي حياتها.

### 1.2.5. العوامل المحددة للهجرة:

تكمن وراء الهجرة عوامل متعددة أهمها:

#### 1.1.2.5. عوامل الطرد أو الضغط الداخلي:

"ويحدث هذا نتيجة الظروف الطبيعية التي تدفع الأشخاص إلى الهجرة كتغير الحالة المناخية كالبرودة الشديدة أو الحرارة العالية... أو يحدث أيضا بعد الهزات الاقتصادية التي تولد البطالة وما ينتج عنها من مشاكل اجتماعية، أو من جراء العوامل السياسية والدينية". (فضيل دليو؛ وآخرون، 2003، ص40)

## أ. الحروب:

"تعتبر الحروب بشكليها الداخلية (الحروب الأهلية) والخارجية كعامل هام ومحدد للهجرة. فبالنسبة للحرب الأهلية مثلا نجد أن ما حدث في إسبانيا بين عام 1936 إلى عام 1939 هو خير مثال على ذلك حيث هاجر أثناء وبعد هذه الحرب عشرات الآلاف إلى الخارج... كما لا يمكن بأي حال من الأحوال توافد اليهود المكتنف إلى فلسطين منذ وعد بلفور إلى اليوم". (فضيل دليو؛ وآخرون، 2003، ص41)

## ب. النمو الديمغرافي السريع:

يؤدي هذا النمو إلى زيادة الكثافة السكانية بشكل مرتفع مما يؤثر سلبا على كفاية الثروات وبالتالي يقل العرض ويزيد الطلب وتحدث مشاكل اقتصادية واجتماعية... مما يدفع السكان للهجرة إلى البلدان الأغنى بحثا عن ظروف معيشية أوفر.

### 2.1.2.5. عوامل الجذب:

وهي العوامل والظروف التي كانت بمثابة المغناطيس الذي يجذب المهاجرين ويشدّهم شدا إلى مناطق معينة. مثل: وجود صناعات نامية جديدة، الظروف السياسية والاقتصادية الملائمة. (طارق عبد الحميد الشهاوي، 2009، ص.ص.21.22)

### 2.2.5. الأسباب العامة المؤدية إلى الهجرة السرية لدى الشباب الجزائري:

#### 1.2.2.5. الأسباب الجغرافية:

والمتمثل في القرب الجغرافي، فدل شمال إفريقيا يساعدها القرب الجغرافي في الحوض المتوسطي بينها وبين دول جنوب أوروبا، خاصة تونس وليبيا لجهة إيطاليا، وبالتالي أصبح الانتقال يسيرا نحو أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط. (عبد القادر رزيق المخادمي، 2012، ص27)

إذ لا تبعد أوروبا عن الشاطئ المغربي إلا بـ 14 كلم، والشاطئ الإسباني يمكن رؤيته صحوا من الشاطئ المغربي الممتدة من طنجة إلى سبتة. (مجدي أحمد مُجَدَّ عبد الله، 2013، ص241)

#### 2.2.2.5. الأسباب الاقتصادية:

هناك أسباب عديدة يأتي في مقدمتها الدوافع الاقتصادية ويتضح ذلك من خلال التباين في المستوى الاقتصادي بين البلدان المصدرة للمهاجرين والتي تشهد غالبا افتقارا إلى عمليات التنمية، وقلة فرص العمل، وانخفاض الأجور ومستويات المعيشة، وما يقابله من ارتفاع مستوى المعيشة، والحاجة إلى الأيدي العاملة في الدول

المستقبل للمهاجرين، فالفوارق الاقتصادية بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية،... إلى جانب انتشار الفقر والبطالة والكوارث الطبيعية. (مجدي أحمد مُجَّد عبد الله، 2013، ص.ص 271.272)

ويتجلى السبب الاقتصادي من خلال التباين في المستويات الاقتصادية بصورة واضحة بين الدول الطاردة والدول المستقبلية، هذا التباين هو نتيجة لتذبذب وتيرة التنمية في هذه البلاد التي لازالت تعتمد في اقتصادها على الفلاحة والتعدين وهما قطاعان لا يضمنان الاستقرار في عملية التنمية نظرا لارتباط الأول بالأمطار والثاني بأحوال السوق الدولية، وما له من انعكاسات سلبية على مستوى سوق العمل. ((مجدي أحمد مُجَّد عبد الله، 2013، ص 240)

ذكر تقرير صادر عن الأمم المتحدة: أن أسباب الهجرة الجماعية غير الشرعية يعود إلى ازدياد أعداد الشباب في دول العالم الثالث وتناقص فرص العمل، إضافة إلى زيادة حدة الفوارق بين الدول الغنية والفقيرة، كما ازداد الوعي بهذه الفوارق وأصبح السفر متاحا للجميع بسبب التقدم الذي حدث في الإيصالات الدولية ووسائل السفر والعملية. (طارق عبد الحميد الشهاوي، 2009، ص 48)

### 3.2.2.5. سوق العمل والبطالة:

يلخص العالم الديمغرافي الفرنسي صوفي إشكالية الهجرة بقوله: إما أن ترحل الثروات حيث يوجد البشر أو يرحل البشر حيث توجد الثروات، لأن البطالة تمس عددا كبيرا من السكان وخاصة منهم الشباب الحاصلين على مؤهلات جامعية، وتقدّر نسبة البطالة في المغرب على سبيل المثال بحوالي 12%، وفي الجزائر تصل إلى 23.7% حسب المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، و15% في تونس، هذا الضغط على سوق العمل يغذي النزوع إلى الهجرة في شكلها غير القانوني. ومن انعكاسات ظاهرة البطالة زيادة حجم الفقر، وقد بلغت نسبة السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر في المغرب مثلا ما يقرب من 14% وهذه النسبة كانت ستزداد لولا التحويلات والاستثمارات التي يقوم بها المغاربة المقيمون في الخارج.

كما يشكّل التباين في الأجور عاملا للتحفيز على الهجرة حيث الحد الأدنى للأجور يفوق من 3 إلى 5 مرات المستوى الموجود في دول المغرب، على أن هذا الحد لا يحترم أحيانا من طرف أرباب العمل. (مجدي أحمد مُجَّد عبد الله، 2013، ص 240)

#### 4.2.2.5. الأسباب الاجتماعية:

تتجلى أساسا في صورة النجاح الاجتماعي الذي يظهره المهاجر عند عودته إلى بلده لقضاء العطلة حيث يتفانى في إبراز مظاهر الغنى، من سيارة، وهدايا، استثمار في العقار وغيرها. (مجدي أحمد محمد عبد الله، 2013، ص241)

#### 5.2.2.5. أسباب أخرى ناتجة عن سوء التسيير أو فشل الدولة في تسيير الموارد البشرية:

يؤكد بعض الخبراء أن من الأسباب الرئيسية للهجرة العربية انعدام التخطيط الواقعي في مجال القوى البشرية، وفي ميدان التخطيط التربوي، أو الفشل في إيجاد التكامل والتنسيق بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل وعدم الاستقرار السياسي، وعدم وجود المناخ الملائم للبحث العلمي وانخفاض المستوى المعيشي.

#### 6.2.2.5. أسباب ناتجة عن الإعلام المرئي:

فالثورة الإعلامية التي يعرفها العالم جعلت السكان حتى الفقراء منهم يستطيعون اقتناء الهواتف التي تمكنهم من العيش عبر مئات القنوات في عالم سحري يزرع فيهم الرغبة في الهجرة. (مجدي أحمد محمد عبد الله، 2013، ص241)

انطلاقا مما سبق يمكن القول أن الأسباب الآتية الذكر ليست الوحيدة في تنامي ظاهرة الهجرة السرية لدى الشباب في الجزائر نحو دول الساحل الأوربي، لأنها لم تعد مرتبطة بالفقر والهشاشة والظروف الاجتماعية السيئة فقط، بل أكثر من ذلك نلاحظ اليوم تفاقم هذه الآفة لدى خريجي الجامعات والأكاديميين من ذوي المستوى العالي.

وهو إن دل على شيء إنما يدل على هشاشة أساليب التنشئة الاجتماعية وغياب دور مختلف مؤسسات التنشئة من المنزل إلى الجامعة في خلق روح المواطنة.

### 6. خاتمة:

وفي الأخير تبقى ظاهرة الهجرة غير الشرعية انشغالا يورق دول الساحل الإفريقي إجمالا والجزائر منه على وجه الخصوص، تعمقت جذورها بحكم الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي تحتله دول شمال إفريقيا من أوروبا، ناهيك عن العلاقات التاريخية المتمثلة في الموجة الاستعمارية التي دامت قرابة 130 سنة، بالإضافة

إلى العلاقات الاقتصادية الوطيدة مع دول أوروبا، مع استيراد لبرامجها في التعليم، واعتماد لغاتها كلغة أجنبية أولى، هذه العوامل وغيرها رسخت فكرة الهجرة في ذهنيات أبناء دول الساحل الإفريقي.

وبعد التحليل السابق فإن محاولة رصد جملة الأسباب والعوامل الكامنة خلف تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية، قد كشف عن تشابك هذه العوامل وتداخلها فيما بينها، وفي المحصلة تشير جملة الملامح والمعطيات أن الشباب في المغرب العربي ضحية لظروف خارجة عن إرادته وآماله، فالشاب يكون في مرحلة حيوية، طاقة نابضة مقبلة على الحياة، بما يزرخ به من أحلام وطموحات، لكن سرعان ما تُغتال أحلامه أمام ناظره، فتتلاشى وتتحوّل إلى سراب، عندما يستيقظ على واقع مرير ومستقبل غامض الملامح، فيصدم بما يطرحه أمامه من عوائق وتحديات .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا التصور لا يروج لأحكام سلبية ولا أفكار سوداوية، وإنما حالة اغتراب ويأس من الحياة، عندما تتحوّل حقوقه - من عمل قار، وبناء أسرة وغيرها من الحقوق - إلى أحلام، يعجز عن تحقيقها في بلده الأم، فتصبح الهجرة بمختلف مظهراتها الاختيار الاضطراري، ومنفذا للنجدة. وضمن هذا السياق عمد أحد الباحثين إلى توصيف الهجرة غير الشرعية على أنها نمط من أنماط السلوك الانسحابي، التي تمثل أحد صور الانعكاسات السلبية الناتجة عن حالة الإحباط والاغتراب في نفوس الشباب.

إذ تتضافر جملة من المحددات بصفة مباشرة وغير مباشرة في انتشار ظاهرة الحرق، يأتي في مقدمتها مخرجات الوضع الاقتصادي في دول الساحل الإفريقي، من نقص في فرص العمل، وانخفاض في الحدّ الأدنى للأجور، مع الظروف الاجتماعية الضاغطة، الناجمة بدورها عن طبيعة الأنظمة السياسية الحاكمة التي أغفلت إحداث التوازن بين موارد الدولة وإمكاناتها المادية والبشرية، وبين استثمارات الاقتصاد الوطني وعائداتها على قطاع الخدمات من صحة وتعليم ونقل، كل هذه المؤشرات تفاعلت انعكاساتها بالسلب على نفسية الشباب، وتبلورت كعوامل طاردة لهم مقابل مغريات الحياة الجاذبة في الضفة الأخرى.

## 7. التوصيات:

وفي الأخير نخرج بتوصيات وهي بالأحرى آليات من شأنها أن تسهم في تبلور الوعي الإدراكي بخطورة الظاهرة والمغريات والمغرات التي تكتنفها، وهو الأمر الذي يفضي مبدئيا لخفض نسبة الإقبال عليها، على أمل الحد منها مستقبلا، ومن ذلك:

- تقدير النعم المألوفة وعلى رأسها نعمة الروح، والتي هي هبة من الله لعباده والتي تستحق التقديس وعدم المساس بجرمتها، والحفاظ عليها، مصداقا لقوله تعالى "وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ". (سورة النساء، الآية 29).
- تعزيز تقدير الذات، من خلال مبدأ احترام الذات الإنسانية، واستعادة الثقة بالنفس، والترفع عن الدونية وتحقير الذات، فالذات ليست مجرد رقم في إحصائيات الجرد الديموغرافي فالإنسان مكرم وهو خليفة في الأرض، والحياة رحلة جهاد نحو الإصلاح في الأرض، وهي قيم دينية أصيلة ترسخ الوازع الديني.
- بث روح المواطنة الحقة طرفاها حقوق تقابلها التزام بجملة من الواجبات.
- خلق فرص العمل من خلال بلورة مشاريع تنمية جادة، تراعي جميع الفئات.
- تفعيل التنشئة السليمة التي تستمد أسسها من الدين الإسلامي الحنيف.
- تفعيل دور المجتمع المدني (الجمعيات) من خلال تنظيم ورشات ميدانية تستوعب مشكلات الشباب في إطار الحوار البناء وتحفز لديهم روح المواطنة والانتماء، إضافة إلى تشجيع المبادرات الفردية والجماعية الإبداعية خاصة ما تعلق منها بالنشاطات الثقافية المختلفة (فنون مسرحية، نشاطات رياضية). كل ذلك بغرض التنفيس وامتصاص الطاقات السلبية التي توجه اختيارات الشباب نحو الانسحاب وبالتالي تفادي التفكير في الهجرة في أي حال من الأحوال.

## 8. قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم. روائية ورش.
- 2- أبو زيد مصطفى يوسف. (2017). مشكلات الشباب وفيروس الهجرة غير الشرعية. القاهرة: المكتب العربي للمعارف.
- 3- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (1300هـ). لسان العرب (المجلد 05). بيروت: دار صادر.
- 4- دليو فضيل؛ وآخرون. (2003). الهجرة والعنصرية في الصحافة الأوربية. الجزائر: مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية.
- 5- الزنتاني محمد أعبيد. (2008). الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية الإسكندرية: المكتب العربي الحديث.

- 6- الشهاوي طارق عبد الحميد. (2009). الهجرة الغير شرعية - رؤية مستقبلية. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.
- 7- عبد الله مجدي أحمد مُجَدِّي. (2013). الاغتراب والهجرة غير الشرعية - دراسة سيكومترية مقارنة. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية طبع نشر توزيع.
- 8- غزالي مُجَدِّي. (2015). الهجرة السرية. عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع.
- 9- لوحيدي فوزي؛ فنوعة عبد اللطيف. (سبتمبر 2013). الحراك الاجتماعي في المجتمع الجزائري. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية. جامعة الوادي. 01 (01). (41-58).
- 10- ماجد الزيود. (2006). الشباب والقيم في عالم متغير. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- 11- المخادمي عبد القادر رزيق. (2012). الهجرة السرية واللجوء السياسي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 12- منصورى رؤوف. (2016). الهجرة السرية من منظور الأمن الإنساني. الإسكندرية: مكتبة الوفاء القانونية.
- 13- منصورى سميرة. (سبتمبر 2014). الشباب والتغير الاجتماعي - الثقافي. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. (16). (313-320).